

مناظر في الأدب

الأولى بين السيف والقتل للشيخ أحمد الدين بن نبهانة المصري
الثانية بين الورد والرجس للشيخ أبي الحسن علي بن عبد المارديني
الثالثة بين القديل والشمعدان للشيخ عبد الباقي بن عبد المجيد الحاملي

جمعها وشرح أفاضها

عبد الرحمن

مكتبة الشريعة السورية بمصر

الى ذى الرياستين الدينية والسياسية
رجل سوديا الأ واحد ووزيرها الأ كبر
صاحب الفخامة

الشيخ محمد تاج الدين الحسني،
رئيس الوزارة السورية الافخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

هذه ثلاث مناظرات أدبية شيقة اثلاثة من أعلام الأدب العربي
أولاهما « بين السيف والقلم » للشيخ جمال الدين بن نباتة المصري . وثانيتهما
« بين الورد والترجس » للشيخ أبي الحسن علي بن محمد المارديني . وثالثتها
« بين القنديل والشمعدان » للشيخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني .
رأيناها متفرقة بعيدة عن متناول أيدي جبهة القراء مع ما اشتملت
عليه من محاورات لطيفة ، وتوريات جميلة ، وإشارات إلى وقائع وأمثال
مشهورة ، وحجج وبراهين كالدرر منشورة . كل ذلك بأسلوب طلي شيق
أخاذ بمجامع القلوب ، جذاب غير ممل لا يكاد الإنسان يأخذ في قراءة واحدة
منها حتى يظن نفسه في مجاس عقد للمناظرة حقيقة ، وأنه يشاهد خصمين
يتحاجان يستمع إلى حججهما حتى إذا ظن أن الحق مع أحدهما قام الآخر
يهدم ما بناه صاحبه ويفند مزاعمه . وهكذا لا يزال يسمع حجة تقرر
حجة : ودعابة تقابل بمناها ، إلى فكاهات لذيذة بريئة ولا يستطيع قطع
هذا الحلم اللذيذ حتى يأتي على آخر المحاوره فيتبين أنها مناظرة مصطنعة
ومخاصمة خيالية وهي إلى ذلك تصور ناحية من نواحي الأدب العربي

المتع، وهي المناظرات التي أنفوا وضعها على السنة الحيوانات والجمادات
 فاحببنا تقديمها إلى القراء الكرام طرفة أدبية تضم إلى المكتبة
 الحديثة ورأينا أن الناشء لا يستقل بفهم بعض مفرداتها اللغوية الغامضة
 فشرحنها بتعانيقات وجيزة تساعد القارىء على فهم المراد منها ونرجو
 أن نكون وفقنا إلى ما أردنا

عزت العطار

مكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة

المحاضرة الأولى

بين السيف والقلم لابن نباتة المصري

قال العلامة تقي الدين بن حجة الحموي أن الشيخ جمال الدين أظهر في المغيرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل
وانى وان كنت الأخير زمانه لا تيمأ لم تستطع له الأوائل
من ذلك قوله في رسالة المفاخرة بينهما . والمغيرة في مدح كل منهما
وذمه . فبرز القلم بأفضاحه . واشط لا رتياحه . ورقى من الأنايل^(١)
على أعواده . وقام خطيب بحاسنه . في حلل مداده وانتفت إلى السيف قتل :
بسم الله الرحمن الرحيم . ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة
ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وذرعه بالقلم . وخط به ما قدر
وقسم . وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال « جف القلم بما هو كثر »
وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين . وكل مجد بائن . صلاة واجنحة
السطور . فأنحة من أدراج الصدور . ما قامت صحف البحار غواديها
وكتبت أقلام النور على مبارق^(٢) الدياجى حكمة باريها .

أما بعد : فإن القلم منار الدين والدنيا ، ونظام الشرف والعاليات .
ومجداح^(٣) سحب الخير إذا احتاجت الهمم إلى السقيا . ومفتح باب

(١) رؤس الأصابع (٢) صحف : واحده مهرق يضم الميم وبفتح
الراء . الصحيفة (٣) المجداح : الدعاء . وهو ما كانت تعتقده العرب سبباً
للأمطار من شروب نجم وشررق آخر . والمعنى سبب سحب الخير

فليمن المحرب إذا أعيا : وسفير الملك المحجب : وعذيق الملك المرجب^(١)
 وزمام اموره السائرة : وقادمة^(٢) أجنحة الطائرة : ومطلق أرزاق
 عفاته^(٣) المتواترة : وانملة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة ،
 به رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل . وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
 التي تهذب الخواطر الخواطل^(٤) فيبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة
 وحسبه ماجرى على يده الكريمة من منة . وفي مراضى الدول عوننة
 للشائدين . وبعين الله في ليالى النقس^(٥) تقاب وجهه في الساجدين .
 ان نظمت فرائد العلوم فانما هو ساكها . وان عات أسرة الكتب
 فانما هو ماكها . وان رقمت برود البيان فانما هو جلالها . وان تشعبت
 فخور الحكم فانما هو أمانها ومالها . واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو
 عصمها وثمانها^(٦)

وان اجتمعت رعايا السدائع فانما هو امامها المتافع^(٧) بسواده .
 وان ذخرت بحار الأفكار فانما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده
 وان وعد اوفى بحجاب النفع . وان أوعد اخاف كنما يستمد من النقع^(٨)
 هذا وهو لسان الملوك المخاطب . ورسياها^(٩) لا بكار الفتوح والمخاطب
 والمنفق في تعمير دولها محصول انفاسه . والمحتمل أمورها الشاقة على
 عينه ورأسه . والمتيقظ لجهاد أعدائها : والسيف في جفنه^(١٠) قائم .

-
- (١) المهاب العظيم (٢) : القادمة واحدة : القوادم هي عشر ريشات
 في مقدم جذع الطائر (٣) : طلاب معروفه (٤) : الفاسدة (٥) : الخبر
 (٦) : الغياث الذي يقوم بأمرها . (٧) : الملتف (٨) : الانبار
 (٩) : رسولها (١٠) : غمده

والمجهز لبأسها وكرمها جيشي الحروب والمكارم . والجاري بما أمر
 الله من العدل والاحسان . والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر
 انسان . طالما ذب عن حرمها فشد الله أزره . ورفع ذكره . وقام في
 المحاماة عن دينها اشعث ^(١) أغبر . لو أقسم على الله لأبره . وقاتل على
 البعد والصوارم في القرب . وأوتى من معجزات النبوة نوعا من النصر
 بالرعب . وبعث جحافل ^(٢) السطور فالقسي ^(٣) دالات . والرماح الفات
 واللامات لامات ^(٤) . والهزات كواسر الطير التي تتبع الجحافل .
 والأتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل . فهو صاحب فضيلتي
 العلم والعلم . وصاحب ذيلي الفخار في الحرب والسلام . لا يعاديه إلا من
 سفه نفسه . وليس لبسه . وطبع على قلبه . وقال الجدال من غربه ^(٥)
 وخرج في وزن المعارضة عن ضربه . وكيف يعادى من اذا كرع ^(٦)
 في نفسه قيل انا اعطيناك الكوثر . واذا ذكر شائنة السيف قيل ان
 شائتك هو الأثر . أقول فولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه
 والفخار وكبريائه . وأتوكل على الله فيما حكم . واسأله التدبير فيما جرى
 به القلم . ثم اكتفى بما ذكره من أدواته : وجاس على كرسي دواته
 متمملا بقول القائل .

قلم يفل ^(٧) الجيش وهو شرمم والبيض ماسلت من الأغمد

(١) : الرجل مغبر الرأس (٢) : جمع جحفل وهو الجيش (٣) : جمع قوس
 شبه الدالات التي يكتبها القلم بالاقواس (٤) : اللامة : الدرع : وجمعها لامات شبه
 اللامات التي يكتبها القلم بالدروع . (٥) : حده (٦) : شرب الماء بضمه من غير
 إناء (٧) : يكسر

وهبت له الآجاء^(١) حين اشابها كرم السيول وصوله الآساع
فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا . وتلمظ^(٢) لسانه للقول .
فرتجلا وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع
للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله هو العزيز . الخلد
الذي جعل الجنة تحت طلال السيوف . وشرع حدها في ذوى العصيان
فأغصتهم^(٣) بماء الختوف . وسبد مراتب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كنهم بانيان مرصوص : وقد مرصوف . واجناب من ورق حديد
الأخضر ثمار نعيمها الدانية القحطوف . وصلى الله على سيدنا محمد هازم
الألوف . وعلى آله وصحبه الذين طالما عوا بيريض الصوارم سطورا
الصفوف صلاة عاطرة في الأنوف . حالبة بها لاسماع كالشنوف^(٤) وسلم
أما بعد : فن السيف رند الحق الورى^(٥) وزنده القوى . ووجد
الفارق بين الرشيد والغوى والنجم الهادى الى العز وسبيله . والثغر^(٦) باسم
عن تباشير فلوله . به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء . وجلى شخص
الدين الخنفي وقد جمع جفاء . وأجرى سيوفه بالاباطح . فاما الحق فكث
وأما الباطل فذهب جماء^(٧) وحجته اليد النريمة النبوية وخصته على
الأقلام بهذه المزية . وأوضعت به للحق منهاجا . واطاعته فى نبال
النقع والشبك سراجا وهاجا . وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخل

(١) : الحصون . (٢) : دار فى جواب انقم استعداد الكلام (٣) : جماعتهم
ينصون (٤) : الاقراط تحلى بها الأذان (٥) : كبر الانقاد (٦) : باطلا

فيه الناس أفعواجا . فهو ذو الرأي الصائب . وشهاب العزم آلة قلب وسماه .
العزالي زينت من آثاره بزيينة الكواكب ، ولحد الذي كأنه ماء
دافق . يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والرائب . لا تجدد
آثاره . ولا ينكر قراره . اذا استت^(١) في الدجى والقعقار . يجمع
بين الحالتين البأس والكرم . ويبساغ في طوف الخاتين فيوما طوق .
في نحور الاعداء واما خالجل في عراويب أهل النقم . وبحسب به أهواء
الفتن المضاة ويحذف بهيمته الجازمة حروف العلة . واذا انحنى في سماء
القتام بالضرب فقل بسألونك عن الالهة . فهو القوي الاستطاعة الطويل
العمر إذا قصف سواه في ساءة فما أولاد بطول الاحسان وما أجل
ذكره في أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان . كأن الغيث في غمده لا طالم
المنتجع^(٢) وكته زناد يستضاء به إلا أن دفع الدماء شرده الماتع . كم
قد مد فأدرك الطلاب . ودعا النصر بإسائه المحمر من اثر الدماء فأجاب .
وشعبت الدول لقائم نصره المنتظر . وحازت أبكار الفتوح بحده
الذكر^(٣) وغدت أيامها به ذات حجول^(٤) معلومة وعمر ، وسدت
به الظهور . وحدث علائقه في الأمور ، وانخذته الملوك حرزا لساخطها
وحصنا على أوطانها وقطانها^(٥) وجردته على صروف الأقدار في شأنها
ونذب فأعيت عليه المصالح ، وياشر^(٦) للمم^(٧) فهو على الحقيقة بين
الهدى والضلال فرق واضح ، وأغاث في كل فصل . فهو اما الغمد سمد

(١) : اشتعات (٢) : طالب الكلاء (٣) : انقاطع (٤) : حجول جمع جعل
وهو الخلل حال « ٥ » : سكانها « ٦ » : صفائر الذنوب

الآخمية ، وأما حامله سعد السمود . وأما لضده سعد الذابح . يجلس على رؤس الأعداء قهرا ، ويشرح أبناء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل . ما لم تستطع عليه صبورا . وهل يفاخر من وقف الموت على يابه ، وعرض الحرب الفروس بنابه . وقذفت شياطين القراع ^(١) بشبهه . ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه . ومنها ان الله أنشأ برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد ^(٢) مرتعا . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا . كم آتخذ من جسد طرسا ^(٣) وكتب عليه حرفا لا ينسى . فيه للالباب عبرة . وللاذهان السابحة غمرة ^(٤) بعد غمرة . أقول قولي هذا . واستغفر الله العظيم من لفظ يجمع ^(٥) ورأى الى الخصام يجنح . ولسان يحوجه اللدد ^(٦) الى أن يخرج فيجرح . وأتوكل عليه في صد الباطل وصرفه ، وأسأله الاعانة على كل باحث عن حقه بظلفه . ثم اختفى في بعض الحائل وتمثل بقول القائل :

سأل السيف عن أصل المخاروف فرعه فأنى رأيت السيف أفصح مقولا
فلما وعى القدم خطبته الطويلة الطائلة ، ونشطته الجليلة الجائلة ،
وفهم كذايته وتلويحه . وتعريضه بالدم وتصريحه . وتعديله في الحديث
وتجزيحه ، استغاث باللفظ النصير . واحتد وما أدراك ما حدة القصير
وقام في دواته وقعد . واضطرب في وجه القرطاس وارتعد . وعدل
الى السب الصراح ورأى أنه ان سكنت تكلام ولكن بافواه الجراح

«١» : الحرب : «٢» : الذي يطلب المرعى «٣» : صحيفة «٤» : شعدة
«٥» : يتعدى الحد «٦» : الخصومة

فأنحرف إلى السيف وقل .

أيها المعتز بطبعه . المغتر بلمعه . الناقض حبل الانس بقطعه . الناسخ بهجيره من ظلال العيش فياً ^(١) السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . الحيس الذي طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الأبلد الذي لو أمر لي بالسجود لقال خفتني من نار وخلقته من طين اتعرض بسبي . وتعرض لمسكائد حربى . ألت ذاذ الخدع البالغة والحرب خدعة . والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغى الاثام نفعه . ألت المسود الأحق بقول القائل .

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الجود والاقداماً
أفأخرفنى وأنا للوصل وأنت للقطع . وأنا للعطاء وأنت للنع .
وأنا للصالح وأنت للضراب . وأنا للعمارة وأنت للخراب . وأنا للمعمر
وأنت المدمر . وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد . وأنت العايب وأنا
المجود ^(٢) ومن أولى من القلم بالتجويد . فما أقبح شبهك وما أشنع يوماً
نرى فيه العيون وجهك . أعلى مثلى يشق القول ويرفع الصوت والوصول
وأنا ذو اللفظ المسكين . وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى « أو ممن
ينشأ في الحاية وهو في الخصام غير مبين » فقد تعديت حدك . وطلبت
مالم تبلغ به جهتك هيئات أنا المنتصب لمصالح الدول . وأنت في الغمد
طريح ، والمتعب في تمهيدها وأنت غافل مستريح ، والساغر وقد مهد
ملك في الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره . فأى

الحالتين أرفع. والساعى في تدبير حال القوم، والمدنى لنفعهم العمر إذا كن
تفعلك يوماً أو بعض يوم. فاقطع عنك أسباب المفارقة. واستر أنيالك
عند المكاشرة فما يحسن بالصامت محاوراة المصيح. والله يعلم المفسد من
المصالح. على أنه لا ينكر لمثلك التصدى. ولا استغرب منه على مثلى
التعدي. ما أنا أول من أطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان
إليه. أو لست الذى قبل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الخجاج فى الحرم
قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء. وجلبت القسوة.
فكم هيجت سبة^(١) حمراء وأثرت دهما. وخمشت^(٢) الوجود وكيف
لا وأنت كالظاهر كونا^(٣) وقطعت اللدات ولم لا وأنت كالصبيح لو نا
أين بطشك من حامى. وجهلك من عامى. وجسمك من جسمى.

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب وذاك جسمى وجسم صيغ من بهق^(٤)
أين عينك الزرقاء من عبنى الكحيللة. وزؤيتك الشنعاء من رؤيتى
الحميلة. أين لون الشيب من لون الشباب وأين ندير. الأعداء من رسول
الاحباب. هذا وكم أكلت الأكباد غبظاً وحميت الاضغان قيظاً^(٥)
وسكوت الصدا فسقيت ولكن بشواظ من نار وأخنت عايك.
الأيام حتى اتعل بإعاضتك^(٦) الحمار. ولولا تعرضك الى لما وقعت فى
المقت، ولولا إساءتك لما كنت تعقل فى كل وقت. فدع عنك هذا

«١» عاراً «٢» حرحت «٣» حلقة وهياة «٤» بياض يعتدى الجلد يشبه البرص
وليس منه (٥) شدة الحر ٦ : احزائك

الفخر . ونأمل وصفي إذا كشف عنك الغطاء مبصر كالأوم حديد .
وافهم قول ابن الرومي .

ان يخدم القلم السيف الذي خصعت له الرقاب ودانت خوفه الأئمة
فالموت والموت لأشياء بعادله مازال يابح مايجزى به القلم
بذا قضى الله في الأولاد إذ برت . ان السيوف لها مذارهقت خدام
فعند ذلك وثب السيف على قلبه ، وكاذ الغضب يخرج به عن
حده وقال .

أيها المتطاول على قصره : والمأشى على طريق غمره . والمتعرض
منى إلى الدمار ، والمتعرض بنى فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس
بالنار . لقد شممت عن ساقك حتى اغرقتك الغمرات ^(١) وأتعبت نفسك
فما لا تدرك إلى أن أذهبها النعب حمرات . أولست الذي طالما راعش
السيف لأهنية عظمك ^(٢) وبكس للخدمة رأسك وطرفك . وأمر
بعض رعيته وهو السكس فنتاع قفاك . وشق أنفك . ورفعت في
مهمات خاملة وحطك . وجذبت الاستعمال وقطعتك . فليت شعري
كيف جمرت وعبست على مثل وبسرت ^(٣) وأنت السوق وأنا
الملك . وأنا الصادق وأنت المؤتفك . وأنت لصون الخطام ، وأنا
لصون الممالك . وأنت لحفظ المراع وأنا لخط المسالك . وأنت للفلاح
وأننا للفلاح وأنت حاطب الليل ^(٤) من نفسه . وأنا ساري الصباح . وأنا

(١) الشدائد (٢) عطف كل شيء جانبه ٣ بمعنى عدوت ٤ يقال لمن

الباصر ، وأنت الأرمـد . وأنا المخدم الإبيض وأنت الخادم الاسود .
وأقسم بمن صير في قبضتي أنواع اليمـن ^(١) المسخرة . وجعل في شخصك
وشخصي كقوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة » إنك عن بلوغ قدوى لاذل رتبة ، وعن
برى كفى لاخيب طلبـة فأنى لأنـسـكر قول بعض أربابك حيث قالوا

أف للرزق الكتبة أف له ما أصعبه

ير تشف الرزق به من شق تلك القصبة

يا قلما يرفع في الطـرس لوجهى ذنبه

ما أعرف المسكين الا كتبـا ذا متربه

إن عاينت الديوان وقعت في الحساب والعذاب ، أو البلاغة سحرت
وبالغت فانت ساحر كذاب ، أو نفرت بتقييد العلوم فالاك منها سوى
لمحة الطرف . أو برقم المصاحف فأنتك تعبد الله على حرف ، أو جمعت
عملا فانتا جمعك للتكسير . أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا
وهو حسير ، وهل أنت في الدول الاخيال تكنتى بهم بطيفه أو أصبع
يلعق ^(٢) بها الرزق إذا أكل الضارب بقائم سيفه . وساع على رأسه
قل ما أجدى . وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقفوا كدى أين .
أنت من حظى الاسنى وكفى الاغنى ، وما خصصت به . من الجوهر
الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت في مهمة
وكم خرجت من دواتك لتساطر سيثة فخرجت كما قيل من ظلمة الى

ظلمة ؛ وهب انك كما قلت مفتوق اللسان . جرى الجنان . مداحل ^(١) بمخلبك بين ذوى الاقتناص ، معدود من شياطين الدول وأنت في الطرس والنفس ^(٢) بين بناء وغواص ، فلو جرئت خافى إلى أن تحفى ^(٣) وصحت بصيرك الى أن تحفت وتحفى : فما كنت منى الا بمنزلة المدرة ^(٤) من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بمعجزى فانك ممن يمين ^(٥) ولا تحاف لها أن تبلغ مدى فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك أن تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقاً وتسلم من نار حرقاظى لا يصلاحها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا أن توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصرة ولا جمع عقارب ليل نفسك التى ان عادت فأن نعال السيوف لها حاضرة ثم قطع الكلام وتمثل بقول أبى تمام

السيوف أصدق أبناء من الكتب فى حده الحدين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصخائف فى متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذى أخرجه وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى أنه هو البادى بهذه المناقشة : والبادى أظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراءه وعلم أن الدهر دهره . والقدر على حكم الوقت قدره وانه أحق بقول القائل

(١) : مخادع (٢) : الورق والحبر (٣) : حفى رقت قدمه أو حافره من كثر المشى (٤) : قطعة من الطين ٥٦ : يكذب

أخنها معرب وأعجب من ذا . . ان اعراب غيرها ملحون .
فالتفت اليه وقال :

أيها الماتهب في قنحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ما هذه
الزيادة في السباب والتطفيف ^(١) في كبل الجواب وأين علم الشيوخ
عند جيل الشباب أما كان الاحسن بك أن تترك هذا الرفث ^(٢) وقم أخاك على
الشعث وتحيم كما زعمت أنك السيد وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الجيد أما
تعلم اني معك في تشبيد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك
أما أنا وأنت للملك كليدين وفي نشييده كالأر كنين الأشدين وما أرا لـ
عبتني في الاكثر الا بنحول جسمي الذي ليس خلقه على وضعفه
الذي ليس أمره الى على أن أسهب الخصور أنحفها وأقوى الجفون أضعنهما
. . وأزكى السمات أعدها وأدفعها ، وهذه سادات العرب . تعد ذلك من
فضلها الأظهر . وحسنها الأشهر . ولو أنك تقول بالقصاحة . وتقف
في هذه الساحة . لاسمعتك من أشعارهم . واتحفتك بما يهخرون به من
آثارهم . وكذلك عيبك سواد خلقتي التي أكسبها الحب حلية صبغت
صبغة حب القلوب والحدق . فيالله . وباللهجر الأسود من هذه الحجة
البائرة ، والسكره الخامرة . وعلى هذه النسبة ما عبتني به من فقر
الأنبياء . وذل الخـكاء . على أن اطلاقات معروف في معروفة . وسطوات
أمرى في وجود الأعداء المكسوفة مكشوفة . فاستغفر الله مما فرط
في مقالك . والتفويض من عوائد احتمالك . فلا تشمت بنا الأضداد .

ولا تساط بفرقتنا المفسدين في الأرض أن الله لا يحب الفساد. واغضض
الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا نشك أني قسيمك ولو قيل لك
ياد داود إنا جعلناك خليفة في الأرض. وأن أبيت إلا أن تهدد وتجرد الشغب
وتجدد. فاذا كر محلنا من اليد الشريفة الساطانية. الملكية المؤيدة.
أيد الله نعمها. وجازى بالاحسان شيمها. وأيقظ في الآجال والآمال سيفها
وقامها. ولا عطل مشاهد المدح من أنسها. ولا أخل فرائض البأس والكرم
من قيام خمسها^(١) فاقسم بمن بأسه بالليل وما وسق. ومن بشر طاعته
بالقمر اذا انسق. لو تجاوز الأسد والظباء بتلك اليد لوردا بالأمن في
منهل. ورتعا في روض لا يجهل. ولو لجأ إليها النهار لما راعه بمشيئة
الله الليل بزجر. أو الليل لما غاب على خيطه الاسود الخيط الأبيض من
الفجر. وعلى ذلك فما ينبغي لنا بين تلك الأنامل غير سلوك الأدب. والمعاضدة
على محو الأزمات والنوب. والاستقامة على الحق ولا عوج. والحديث
من تلك الراحة عن البحر ولا حرج. هذه نصب حتى إليك والدين النصيحة
والله تعالى يطالعك على معاني الرشد الصريحة. ويجعل بينك وبين ألغي حجابا
مستورا. وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطوراً

فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا :

لأمر ما جدع قصير أنفه وأمسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان
السيوف معروفة بالخالل ثم قال :

أيها الضيف الجبار البازغ في ليل المداد نجماً وكم في النجوم غرار. لقد

تظلمت من أمراً أنت البادىء بظلامه وتسورت^(١) إلى فتح باب أنت السابق إلى
فتح ختمه . وقد فهمت الآن ماذا كرت من أمر اليد الشريفة . ونعم ماذا كرت
وأحسن بما أشرت . وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن
قولك الاحسن . ورددتك إلى أمك الدواة كي تقرر عينها ولا تحزن . وسألت
الله تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد العالية تمام على الذى أحسن فانها اليد التى
لواثر التقبيل فى يد منعم لها براجم^(٢) كفها التقبيل
والراحة التى

تسعى القلوب لغوثها ولغيثها فيجيبه التأمين والتأميل
والآنامل التى علمها الله بالسيف والقلم ، ومكنها من رتبتي العلم
والعمل ، ودارك بكرمها آمال العفاة بعد أن ، ولا ، ولم . ولولا أن هذا
المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل . ومجده الذى اذاجر
ذيله ودّ الفضل . لو تمسك منه بالفضل لاطلت آلاان فى ذكر مجدها
الواضح . وانصحت فى مدحها ، ولا ينكر لمثلها ان انطلقت الصامت
فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد . والمجادلة التى عز أمرها
على الحديد ، اقررت أنت اتنا لاملك كاليدى ولم تقر اينا اليمين ، وفى
آفاقه كالقمرين . ولم تذكر اينا الواضحة الجبين ، وما يشفى ضناى ويروى
صدائى الا أن يحكم بيننا من لا يرد حكمه . ولا يتهم فهمه ، فيظهر اينا
المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ، ويقصر عن القول المناظر
ويستريح المناضل . وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت

(١) تسورت الحائط : تسلقه (٢) عقد الاصابع

الى يده الشريفة. وتوسلت بحاسنها اللطيفة : فانه مالك زمامنا. ومثىء
 غمنا (١) ومصرف كلامنا. وحامل أعبائنا الذى ماغوى للهوى. وصاحب
 أمرنا ونهينا : وتالله ماضل صاحبكم وماغوى : ليفصل الأمر بحكمه ،
 ويقدمنا الى مجاسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه : فقدم خيرة الله على ذلك
 الاشتراط وقل بعد تقبياننا الارض له فى ذلك البساط : خصمان بغى
 بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا شطاط واهدنا الى سواء الصراط.
 فنشط انقلم فرحا : ومثى فى أرض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب
 وخر راكعا وأتاب وقال سمعا وطاعة وشكراً لله على هذه الساعة ...
 «يايبرد ذاك الذى قالت على كبدى» الآن ظهر ماتبغيان . وقضى الأمر
 الذى فيه تستنحيان : وحكم بيننا الرأى المنير ونبانا بحقيقة الأمر ولا
 يذبك مثل خبير : ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به الملاك ،
 وكانوا أحق بها وأهلها . وانتبه المملوك من سنة فكره . وطالع بما
 احتاج سوا هذه الليلة فى سره والله تعالى يديم أيام مولانا السلطان التى
 هى نظام المعابر : ومقام المآثر . وغوث الشاكي : وغياث الشاكر ،
 ويمنع بظلال مقامه الذى لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر ولا تجبر
 ما هو كسار ان شاء الله تعالى

المحاوراة الثانية

بين النرجس والورد

للشيخ الاديب العلامة أبي الحسن علي بن محمد المارديني

قال الشيخ :

الحمد لله الذي أنبت في رياض ^(١) اخدود وردة الخجل . وزين
أغصان القدود بنرجس حسن المقل . واوضح لدوى الادب سبيل البلاغة
فاتضح . واستجلوا من وجوه المعاني عيون المالح . والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين . يقول غير متابس وعلى الآل
والاصحاب ما خجلت خدود الورد من نغازل عيون النرجس وبعد :
فاما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار وصفا . وألطفها شكلا
وأطيبها عرفا ^(٢) وقد اختلف بينهما في التفضيل . وأيهما اذا حضرا كان
ليبت البسط تكميل . متاتهما كالخصمين في المناظرة واستنطقت اسان
حالمها على سبيل المحاضرة فقال الورد .

الحمد لله الذي انزل في محكم القرآن « فاذا انشقت السماء فكانت وردة
كلدهان » والصلاة والسلام على نبيه محمد المبعوث الى الاسود والاحمر
الذي نسخ بزمريته البيضاء ملة بني الاصفر . وبعد فان الله تعالى فضاني
على سائر الزهر بأرفع المراتب . فوجب على شكر نعمته وشكر النعم
واجب . فبي تتجمل المجالس والمحافل . كفا في الله عين حسودى فالروض

« ١ » جمع روضة . البقعة الخضرة بأنواع النبات « ٢ » رائحة

ما كى . والزهر جنودى . وما فيهم من فرح فى اعلامى السلطانية .
وكيف لا يطيعونى وشوكتى فيهم قوية

فازورت احداق النرجس وقام على ساقه فى المجلس وقل :

اقسم بمن انزل فى كتابه المبين . صفراء فاقع لونهاتسر الناظرين .
وحق محمد المحمود الذى أوحى اليه قتل أصحاب الاخدود^(١) . لقد
مدحت نفسك بالكمال مع نقصك . وما جررت النار الا الى قرصك .
أتعيرنى بالاصفرار وهو لون التبر^(٢) اذا انسبك . وتفتخر على بالاحمرار
فما احمر ك . فتأدب فى مقالك . واذا كر سرعة زوالك . واحفظ حرمتك
والا كبرت شوكتك .

فقل الورد :

ويلك ما أقوى عينك وأكثر مينك^(٣) أتجعل مقامك مقابى
وأنت من بعض خدائى ، ولو لم تكن قابيل الحرمة ما كنت جالسا وأنت
واقف فى الخدمة . ألك مثلى حسن منظار ومخير . أما سمعت أن الحسن
أحمر وان عيرتنى يقتصر مدتى فقد استبنت عنى بخايفتى ولم يزل جمال
المقامات . ومن خاف مثله مامات . أتحسب محاسنى مثل عاسنك متناهيمة
وكيف ينقطع عملي ولى صدقة جارية ، فستان بينى وبينك ، وان لم تاتمه
عن جدالى قلعت بشوكتى عينك وانشد لسان حاله شعرا :

لجمال وجهى تشخص الأَبصار ولعز مجدى تخضع الازهار
لى بهجة وردية فى وجنتى ولها من ورق الجايد عدار

«١» الاحدود حفرة مستطيلة «٢» التبر : الذهب قبل الضرب «٣» مينك : كذبك

وملابسى من سندس فتق الشذا^(١) أكامها فانفضت الازرار
فكأننى هذا الحبيب اذا بدا نشوان^(٢) قد دارت عليه عقار
لاغرو ان صرف المحب على حيا ة فكم فى وجنتى دينار
حرى غدا لذوى الخلاعة آما من حوله تتخطف الابصار
ولى المهابة والبهاء وأنت من حسد وغيظ قد علاك صفار
ماشأنى فصر الزمان ولا يرى لك فى لياليك الطوال فغار
اسكن ايامى سرور كلها وكذلك أيام السرور قصار
فقال النرجس :

يا قليل المودة . ويا قصير الودة . أين العيون من الخدود ؟
وأين الجاني من الودود . ؟ أنا أوفى عيىناق ومن بزرني أجاسه على
أحدائق . فيقول لي من أفضت عايه السرور فيضا . لقد أكرمت
ضيفك . فعليك الراية البيضاء . وأنت طالما جنى سوكك على من جناك
فوزقت عذاب النار . ذلك بما كسبت يداك . سرقت لون الحبيب .
ونسرت بالورق فقطعوك والقطع حد من سرق . واستقطروا دمعك
واذا قوك الحرق . وقيل لتركبن طبقا عن طبق . وأى فخر فى احمرارك
الشريق^(٣) وكم بين التبر والعقيق . فلا تبهرج زيفك على خالص
الاجين^(٤) وارجع عن المناظرة فما جئتك الا بعين هذا ولى فى السبق

«١» الشذا: الرائحة الطيبة «٢» نشوان: سكران

«٣» يريد الاحمرار الذى يخالطه شئ من الصفرة فلا يكون خالصا الى حمرة
ولا الى صفرة «٤» اللجين : الفضة

قصبات . وكم جلوت صداع القلب بطيب النفحات . واذا وفد جيش
الزهر فلي في طلائعه عيون . والسابقون السابقون . اولئك المقربون
وانشد .

فقت الزهور جميعها بتقدمي فانا المقيم على الوفا يامتحمي
أدعو الندامى للمسرة والهنا وكما علمت شمالي وتسكرمي
وأق الجايس بناظري وأروقه حسنا وساقى في يديه ومعصمي
واغض طرفي ان خلا بحبيبه وأصون سر العاشق المتكتم
واذا غفا المحبوب كنت لحفظه خوفا عليه من الديب المحرم
واغازل الاجفان وهي نواعس والى تشبيه اللواحظ ينتمى
وترى حجيج الالهو حولي طائفا وجميع أياي كيوم الموسم
أين العيون من الحدود نفاسة لولا فساد قياس من لم بعلم
فأفهم وكن عن رتبتي متأخرا واعلم بأن الفضل للمتقدم
فأحمر خد الورد والتهب . وظهرت في وجهه صورة الغضب وقال
ياقوى العين . ويا لون اللجين ، خل عك الحماقة ولا تدخل في
باب مالاك به طاقة ، فاقد استحققت المقت . ولا أبالي بك ولو برقت
كيف تفاخر بصفارك حمرة الحدود ، ومن أين لبياض أجفانك المغازلة
للعيون السود ، اتناظر بعماشك ^(١) عيون الملاح . ما أنت يا عيون
الرجس إلا وقاح ، أتعيرني بحسن الابتلاء وهو الأفضل ، وقد قال
صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء » الا مثل

قالاً مثل طالما ابتليت فصبرت ، وشكوت حالى بل شكرت ، أبيت
 بزفرة لا تحمد ، وادمعى تتحدر ، وانفاسى تتصعد . احبس بلا ذنب .
 واعصر فتجرى دموعى وماهى الا مهجة تذوب فتقطر ، وماضى ابراهيم
 القاؤه فى نار النمرود ، ولا سان يوسف سجنه مع فضله المشهود . مع
 انى طالما لثمت الثغور والاعناق ، وفزت بالشم والضم والعناق ، زكاً منى
 الاصل والفرع . ولا انزل بواد غير ذى زرع ، واقسم ببديع حسنى وتسبيح
 أوراقى ، وسموى عن مراعاة التطير ^(١) بتوجيه طباقى . ما أنت مجانىسى
 فى المقابلة ، ولا موازنى فى المشاكلة . ولا لاحقى فى الطى والنشر ، وأنا
 سيد زهر الربيع ولا فخر ، فلا تطل الشقاق والنفاق ؛ لا بد لك من
 الوقوف فى خدمنى ، ولو قامت الحرب على ساق . وأى فضل لك فى التقديم
 وكم بين الحبيب والكليم ^(٢) وان أردت كشف التابيس ^(٣) . فتفكر
 فى فضل آدم على ابليس . وكم بين الشمس والنجوم . مامنا إلا له مقام
 معلوم ، وهل انت الا من بعض جنودى . والمبشرين بورودى ، وأنا
 هنك بالفضل أولى . وللاخرة خير لك من الاولى وانشد

لم يزدك التقديم فى الفضل شيئاً وانا ما انتقصت بالتأخير
 بيننا فى القياس فرق لطيف مثل ما بين يوسف والبشير ^(٤)

نحدثى النرجس وحولق . ورفع رأسه بعد أن أطرق وقال :
 افتخرت بآنارك فليست العين كلاثر ، وان كنت مباشر الثغور

« ١ » التطير : التشاؤم (٢) الحبيب والكليم : يريد سيدنا محمد وسيدنا موسى
 عليهما السلام (٣) التلبيس التدليس أو التخليط أى ان اردت الحقيقة (٤) يريد بالبشير
 سيدنا عيسى عليه السلام

فأنا لى حسن النظر : مع انهم ارخصوا بك فى التسعير . وما عصروك
 الا عن ذنب كبير . ولو لم تكن من المتمردين الانجاس ما حبسوك فى
 مقام النحاس . انت فى افتخارك كما قالت الحكاء . انف فى الماء واست
 فى السماء . تتطفل على الموائد . ولا تصبر على طعام واحد . واقسم بقدى
 الرشيق ولونى الشريق ^(١) وبياض صحائفى . واخضرار سوائفى . لئن لم
 تصن بهجتك المسبوكة . وتسترفضأحك المهتوكة . لا قطعن طرقك
 المسلوكة . واجعلن حرفتك متروكة . ولا اترك لك فى عصابة الازهار
 شوكة . واذيقك عذاب الهون . أتعيبنى وكلك عيوب وكل عيون . أنا
 طبعى الوفاء . وانت طبعك الغدر . وأنا أول من تنشق عنه الأرض .
 من الزهر . ولا فخر . ولولا خشية التطويل عددت معائبك على التفصيل
 ولكن شيمتى غض الطرف فى المجاس . وما أحسن الغض من النرجس
 وان تشبهت بالشمس انا بكسوفك شمات . وان كنت من السيارة
 فأنى من النجوم الثوابت . وشتان بين طالع وآفل . وكم بين مقيم
 وراحل . وان لم ترجع الى السكينة والوقار لأريك النجوم بالنهار . أين
 فيضان الزمرد من شوك القتاد ^(٢) وكم بين مريد ومراد : واقسم بمن
 زين السماء بزينة الكواكب . ان لم ترجع لأرمينك بشهاب ثاقب .
 واساط عليك رجوم نجومى واقول مضمنا قول ابن الرومى وانشد
 عجبت للورد اذ وفى بناظره وزاد فى تقوله عجباً وفى شططه
 يبدو وطيّاته من حول حمرته كصرم بغل وبقى الروث ^(٣) فى وسطه

(١) الشريق : الحسن المشرق (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالأبر (٣) الروث : الزبل

فنجبل خد الورد حتى كاله من الطل^(١) العرق . وكاد خوف
الفنيحة يتستر بالورق . ثم انه استشاط كن اطلاق من عقال . وسطا
على النرجس بشوكه وقال .

يانفاضة المحافل . ولفاظلة المزابل . كم بين مهتوك ومصون .
ومتروك ومخزون . فجبل القضية انك راجل وأنا فارس . وتقوم في
الخدمة وأنا جالس . ولولا فجورك وقوة الحدقة ماجئت تراحمي في الطبقة
فقال النرجس :

أنا عيون المجالس . وشموع المجالس ، وانيس النديم وقد خلقتني الله
في احسن تقويم . من أين لك لطف ودلالى . وقد فانتك ليني واعتدالى
وبى تشبه عين الحبيب فاعلم . ولأجل عين الف عين تسكرم وكثيرا
بينك وبينى . وان عدت الى منلها سقطت من عيني
فقال الورد :

والذى خالق الانسان من عاقى . والبس الخد حلة الشفق وخرج^(٢)
الوجنات بحمرة الخجل . ودبج بالتوريد مواقع القبل . لقد جزت في
القول حدا . ولقد جئت شيئا اذا . تريد أن تميز نفسك بتقوبها . وانما
الاعمال بخواتيمها . انا خد الحبيب نصيبي . والراح يتامس ويتمسك
بذيل طيبي . أتشك في أن أحسن صفات المدام الوردية . لقد تفتت
قلبي من عينك القوية . أتروم تغطى فضلى بغضا منك وسخطا . اما
سمعت في الامثال أن الشمس ماتتغطى وانشد

أنا والراح للأرواح راحه وكم في قبض ساقى بسط وراحه
أتعمى عن عيوبك اذ ترانى بعين النقص ماذا الا وقاحه
فقال النرجس :

والذى زين العيون بالدعج^(١) وارساها فى فترة الاجفان الى المهج
وفضل الانسان بالعين والعين بالانسان . وكحل بفنون السحر فتور
الاجفان . ان لم ترجع عنى لاجردن سيفى من جفنى واطيح رأسك عند
قدمك واخضبك بدمك ومن أنت فى البين وفداً أصبح فضلى عليك فرض
عن اتحاربنى وجيادى السوابق . وتناظرنى ونواظرى أحداق الخدائق
وفى فتور اجفانى من السحر فتون . أتشك فى أن الملاحه فى العيون وانشد

أنا ما بين أصحى أبى بعين وفضلى راجح والورد دونى
وفى من الملاحه كل فن بدع والملاحه فى العيون
فقال الورد :

أين السهل من الممتنع . وكم بين المتفرق والمجتمع . انت تبذل نفسك
فتهان . وأنا اعز بصيوني^(٢) عن ملامسة الندمان . وانت رقيب على
العشاق فى المجالس الطيبة . واذا رميتهم بعينك يقولون ماذا الا مصيبة
أناذو الوجه الاقر . والحدالازهر . واذا تأملت عيونك اذاهى بالساهرة
كيف ننظرنى ولى وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة . وانت قد

(١) الدعج : سعة العين مع سوادها . أو شدة سوادها مع شدة بياضها

(٢) أى انى عزيز الجانب لأنى أصون نفسى عن ملامسة الندمان وانت تبذل

ضربت عليك الذلة . وما اصفر ارك الالعله .

فقال النرجس :

يا قايمل الوفاء ، ويا كثير الجفاء . لم تعلم ان التخليق بالصفرة من امارات النصره . وقال جماعة من الحكماء ان من أنحس الاشكال الحمرة فقال الورد .

هذا لوني مد كنت في أحشاء الاكمام مضغة . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .

فقال النرجس : وهذا فضلى من الشواهد .

فقل الورد : ما يصف مننا الا الحاسد .

فقال النرجس : لم تزل عين كل شىء أحسنه .

فقال الورد : لا تستوى السيئة ولا الحسنة .

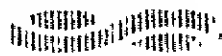
فقال النرجس : ذهبت منك الحجة . واتضعت لى المحبة . فانا لى المقدور لى الفضل الا امد بخنورى فى مقام المقر الشهابى احمد . وأنا المؤيد بفضل ظاهر لا يختفى بخنورى فى حضرة مولانا قاضى القضاة الحنفى .

فقال الورد . وهذا مما يؤيد كلاى . ويرفع فى الفخر مقامى . فكم بلغت بحضرة المخدوم مقصودى ولم يزل الى المنهل العذب ورودى

قال الراوى : فما رأيت كلا منهما قد جاء فى حجته بالبرهان والدليل ولم يتضح لى أيهما أحرى بالتفضيل . وضائق على فى الفرق بينهما المسالك ودأيت مالكى بالمدينة فلم يجز لى افنى وفى المدينة مالاك . لانه فريد

عصره في علمه وآدابه . وهو الذي يفضل يمتنا بفصل خطابه . كيف
لا وهو شهاب له في ذلك المعالي ارفع المراتب . ومن يسترق السمع
يتبعه شهاب ثاقب

شهاب رقى بالسعد في ذلك العلي وعاد بفضل منه والعود احمد
فن شافعي والوجد في قاب ثابت سوى مالكي كنز الفضائل احمد
وما أنا في اهداء هذه النبذة اليه . وعرض بضاعتى المزجاة (١)
عليه . الا لمن اهدى الى البحر قطرة . أو اتحف الروض بزهرة . وهو
ذو الصفات التي فاقت على الراح والحييب رقة ونظماً . وناظرت فعل
المدام فكانت افعالها أسما . فقامت لله در من سجع . ما افصح اسانه ،
واباغ بيانه . فلقد احرز قصبات السبق في ميدان الكلام واني بما يعجز
عنه الفضل والنظام



المحاورۃ الثالثة

بین القنديل والشمعدان

للمولى الفاضل البارع تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

ابتدأها بأن قال

الحمد لله الذى انار حالك الضاماء، بأنوار بدر السماء، وحلى جيدها بعقود
النجوم . وحرس مشيدها بسهام الرجيم وجعلها عبرة للاستبصار ؛
ونزهة للابصار ، غشاؤها لازورد مكل بنضار {١} أو أقاحى {٢} جميلة
تفتحت فيها أزوار الازهار . تهدي السارى بسواريهها ، وتزرى بالدر
أنوار داريها . كرع {٣} فى نهر مجرتيها النيران . ورفع فى مراعى
رياضها الفرقدان

احمده على نعمه التى لايقوم بشكرها لسان . ولا يؤدى واجب
حقها انسان حمدا يجاب الى الحامد أنواع الاحسان . ويسوق الى
الشاكرك ركائب الخيرات احسان . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذى أنار
الله بوجوده ظلمة الوجود ؛ واظهر بظهوره أفعال الركوع والسجود صلى
الله عليه وعلى آله الوافين بالعهود . وعلى أصحابه اهل الافضال والجلود
صلاة وسلاما دائمين الى اليوم الموعود

وبعد فان فنون الآداب كثيرة الشعوب {٤} متباينة الأسلوب،

(١) الذهب (٢) جمع اقحوان . وهو البابونج نبات طيب الريح حواليه ورق

ابيض ووسطه اصفر (٣) السكرع : الشرب بالقم بلا استعمال يد او اناة

(٤) الشعوب : التفاريح

طلالما تلاعب الأديب بفنونها بين جد ومجون ، وكيف لا والحديث ذو شجون ، وكنت بحمد الله ممن هو قادر على إبراز مآلح الأدب . وعلى اظهار لطائف لغة العرب . فتمثل في خاطري المفاخرة بين الشمعدان والقنديل ، ولا بد من إبراز المفاخرة بينهما في أحسن تشيل . لأنهما آلتا نور ، ونديما سرور طالما مزقا جلاباب الدجى باضوائهما ، وحسما مادة الضامة بانوارهما ، وطلعا في سماء المجالس بدورا ، واخجلا نور الرياض لما اصدرنا من جوهرهما نورا . سما كل واحد منهما الى أنه الأصل . وان بمدحه يحسن الفصل والوصل ، وانه الجوهرة اليتيمة والبذرة ^(١) التي ليست لها قيمة ؛ سارت بحاسنه ركائب الركبان ، ونظمت في جيد مجده قلائد العقيان ، فاحببت أن أنظمهما في ميدان المناظرة . ليبرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة ، ويظهر نقائص صاحبه الفاضحة ؛ وليتسنى غارب ^(٢) الاستحقاق بالفضيلة ؛ ويؤكد في تقرير فضائله الراجحة دليله ، مع انه لا تقبل الدعاوى الا بالبرهان ولعمري لقد قيل قدما :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

-
- (١) في الاصل الكمية العظيمة من المال . أو عشرة آلاف درهم والمراد هنا الشيء النفيس (٢) ما بين السنام والعنق

فاتلع^(١) الشمعدان جيده للمطاولة ؛ وعرض سمرية^(٢) الاجينى
للمناضلة وقال :

استنت الفصال حتى القرعى^(٣)

لست بنديم الملوك فى المجالس ؛ كلا ولا الروضة الغناء للمجالس
طلما احدثت بى عساكر النظار ، ووقفت فى استحسان هيا كل
رؤية الابصار . وجمت على الرؤوس اذا عاقت بأذانك . وجايت
كعلاء المرهفات^(٤) اذا اسود وجهك من دخانك
فنفضض^(٥) لسان القنديل فضضة الصل^(٦) وارفع ارتفاع البازى
المطل وقال :

ان كن نورك بمجالسة السلاطين ؛ فافتخارى بمجالسة أهل
الدين : طالما طاعت فى افق المحراب نجمها ازداد علا ؛ وازدانت الاماكن
المقدسة بشموس انوارى حلا . جمع شكلى مجموع العناصر ، فعلى مثلى
تعقد الخناصر . يحسبنى الرأى جوهرة العقد الثمين اذا رأى اصفرار
لونك كصفرة الحزين ولقد علوتك فى المجالس زمانا ومن صبر على
حر المشقة ارتفع مكانا .

(١) اتلع : اى رفع (٢) سمرية : رمحه الصلب

(٣) مثل يضرب للذى يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يده لجلالة قدره
استنت : أى لعبت وركضت من النشاط : الفصال جمع فصيل : ولد الناقة . القرعى
جمع قريع : الذى اصابه القرع من الفصال (٤) : السيف المرهف : الرقيق الحد
القاطع يصف العيون الكحيلة بأنها سيوف قاطعة (٥) تحرك (٦) الحية التى
لا تنفع منها الرقية

فنظر اليه الشمعدان مغضباوهم بأن يكون عن جوابه منكبا وقال:
 أين ثمنك من ثمنى. ومسكنك من مسكنى؟ صفأحنى صفحات
 الابريز (١) فلذا سموت عليك بالتبريز (٢) تنزه العيون فى حمائل الذهبية
 وتسر النفوس بزوغ أنوارى الشمسية. ولا يملكنى إلا من أوطنته
 السعادة مهادها (٣) وقربت له الرياسة جيادها، ولقد نفعت فى الصحة
 والسقم. وازدادت قيمتى اذا نقصت فى القيم. ان انقصمت عراك
 فلا تسعب، ولا تعاد الى سبك نار فتصب وتقلب. لست من فرسان
 مناظرتى، ولا من قرناء مفاخرتى.

فالتفت القنديل التفات انزعام، وفوق (٤) الى قرنيه سهام الملام. وقال.
 انت عندى كتماله، لا محاله، طالك العنقود فابرزت أنواع الحقود.
 وأين الثريا من يد المتناول. أم اين السها (٥) من كف المتناول، تالله
 انك فى صرفك (٦) بصفرك مغلوطة. لقد خصصت بالعلو، وخصصت
 بالهبوط. ترى باطنى من ظاهرى مشرقا، وتخالنى لخزائن الانوار
 مطلقا. فحديث سيادتى مسلسل. وتاج فضائلى بجواهر العلو مكمل.
 فاحظه الشمعدان بطرف طرفه وأرسل فى ميدان المناظرة عنان
 طرفه. وقال:

(١) : الابريز: الذهب الخالص. (٢) : التبريز: السبق. يقال برز انفرس
 تبريزا أى سبق الخيل فى الميدان. (٣) مهادها : الفراش. يريد من سهلت له
 السعادة أسبابها. (٤) فوق : يقال فوق السهم. جعل له فواقا (موضع الوتر
 من القوس) يريد. هياأ ليضرب به (٥) السها : كوكب خفى يمتحن الناس به
 أنصارهم. (٦) أى فى تزويق الكلام لاثبات فضلك.

ان افتخارك بالعلو غير مفيد . ومزية اختصاصك به ليس له
أبهة مزيد . طالما علا القتام ^(١) . وانحط الفرسان ، ومكث الجمر
وسما الدخان . ولقد صيرتك كنظر المشنوق حاله . وكضوء السهاباله ،
وأنت الخالق بما قيل .

(وقاب بلال : واذن بلا سمع)

وسلاسلك أشعر بعقك . وعاكوك ينبي عن غاو اسقاط كمثلك .
عادمت التبر كفة بكفه . ووزنته اذ كان فيه خفه . فاصبح لما خرى
الجلالة . واستمع منافي الجميلة . اطارد جيوش الظالماء برمحي . وأمزق
أثواب الديجور بصبحي . جمع عاملي بين طلع النخل ، وحلاوة النحل .
يتلو سورة النور لسانى . ويقوى فى مصادمة عساكر الليل البهيم
جنانى . أسامر المليك خلوه ، واستجلى من محاسن جلوه . والله
در القائل :

انظر الى شمعان شكاه عجب كروضة روضت أزهارها السحب
يطارد الليل رمح فيه من ورق سنانه لهب من دونه الذهب
فمثل هذه المناقب تتلى . ومثل هذه المحاسن تظهر وتجلي .
فأذرم نار تبينه ، فى أحشاء قرينه . فعندها قال النقنديل :

لقد أطمت الافتخار بمحاسن غيرك . لما وقفت فى المناظرة ركائب
سيرك ، فاشكر اليد البيضاء من شمعك . واحرص على معرفة قيمتك
ووضعك . وأما افتخارك بتلاوة سورة النور . فانا أحق بمامنك اذ محلي

الجوامع . والفرقان فارق بينى وبينك مع انه ليس بيننا جامع . فنفضياتى فيه بينة . وآية نورى فى سورة النور مبينة . فاقطع مواد الاجابة . واقرأ الآية المشتملة على الزجاجة : يظهر لك من هو الاعلى . ومن بالافتخار الاولى . تخائى درة علت فى الهواء ، وكوكبا من بعض كواكب الجوزاء

قنديلنا فاق بأنواره نور رياض لم تنزل مزهره
ذبالة^(١) فيه اذا أوقدت حكمت بحسن الوضع نيلوفره^(٢)
لا يحمل الاقذاء^(٣) خاطرى . ولا يغتم مشاهدى وناظرى . فانا خلاصة السبك ، والتبر الذى لا يفتقر الى الحك . اشتقاق اسمك من النحوس . ومن جرمك تقام هياكل الفاوس . لقد عرضت نفسك للمنية . وانعكست عليك مواد الأمنية . مع أن الحق أوضح من لبة الصباح . وأسطع من نور المصباح . والآن غصحت بريقك . وخفيت لوامع بروفك . قيذه الشهباء والخابه^(٤) . وهذه ميادين المناضلة رحبة . فحار الشهدان فى الجواب . وجعل مأبداه اولافصل الخطاب . فقال القنديل :

لا بد من الاقرار بأن قدحى المعالى . وانى عليك بالتقديم أولى ، وان مقامى العالى . ونورى المتوالى .

(١) ذبالة : فتيلة . (٢) نيلوفره : ضرب من النبات ينبت فى المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق اماس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطح الماء أوردق وأزهر . (٣) الاقذاء : جمع القذى وهو ما يقع فى العين والشراب من تبن ورممل ونحوهما (٤) الخلبة : الخيل تجمع للسباق .

فقال الشمعدان :

لامنازعة فيما جاء به الكتاب من تفضيلك . وكونك الكوكب
الدرى الذى قصر عن بلوغك باع مثيلك .

فجنح الشمعدان لاسلم . وترفع عن استيطان مواطن الأثم . وشرع
يبذى شعائر الخضوع . وينشر أعلام الأوبة عما قال والرجوع . وقال :
لولا حمية النفوس . ما تحملت بما خزن ناصفات الطروس . ولولا
القال والقيـل ، ماضنا معرض التمثيل . ولكن أين صفاؤك من كدرى
وأين نظرك من نظرى . خصك الله بنوره . وذكرك فى فرقانه وزبور .
فعندها تهلت أسارى القنديل ، وتبسم فرحاً بالتعظيم والتبجيل . وقال :
حيث رجعنا الى شرح الاوصاف . واظهار محاسن الاوصاف .
ففضلك لا يبارى . ووصفك لا يجارى . بحسبك الرائي خيلة ^(١) نور
تفتحت أزهارها . وحديقة نرجس اطردت أنهارها . تسربك النفوس .
وتدار على نضارتك الكؤوس . وان اللائق بحالنا طى بساط المنافسة .
واخذاد شرر المقايسة . والاستغفار فيما فرط من كلامنا . والرجوع الى
الله فى اصلاح أقوالنا وأفعالنا .

ونقول :

الاصل فيما تقاناه عدمه . فقد حنى كل واحد منا فى ابراز معاييه
قامه . ونسئل الله أن تدوم لنا نعمه . ويتعاهدنا فى المساء والصباح
كرمه بمنه وجوده وكرمه آمين

(١) خيلة : شجر مجتمع كثيف .

مناظرة الازهار

للعالم العلامة والبحر الفهامة جلال الدين السيوطي
حدثنا الريان عن أبي الريحان عن أبي الورد أبان . عن بابل
الأغصان . عن ناظر الانسان . عن كوكب البستان . عن وابل
الہتان^(١) قال :

مررت يوماً على حديقة . خضرة نظرة أنيقة . طلواها وديقة^(٢)
وأغصانها وريقة . وكوكبها أبدى بريقه . ذات الوان وأفنان . وأكمام
واكنان^(٣) وإذا بها أزدار الازهار مجتمعة . وأنوار الانوار^(٤) ملتمة
وعلى منابر الأغصان أكبر الازهار . والصبا تضرب على رؤسها من
الاوراق الخضر بالمزاهر . فقامت لبعض من عبر . الاتحدثني ما الخبر .
فقال :

أن عساكر الرياحين قد حضرت . وأزاهر البساتين قد نظرت
لما نظرت^(٥) . واتفقت على عقد مجلس حافل . لأختيار من هو بالملك
أحق وكافل . وها أكبر الازهار قد صعدت المنابر . ليبدى كل حجته
للمناظر . وينظر بين أهل المناظر في انه أحق أن ياحظ بالنواظر .
من بين سائر الرياحين النواذر . وأولى بأن يتأمر على البوادي منها
والحوادر . فجاست لاحضر فصل الخطاب . واسمع ما يأتي به كل من

(١) وابل الہتان : المطر الشديد الكبير القطر (٢) وديقة : جوانبها معشبه
مخضرة (٣) : اكنان : جمع كن وقاء كل شيء وسره . (٤) الاول جمع نور
وهو الضوء . والثاني جمع نورة بمعنى الزهرة . (٥) نظرت : يقال نظر الشيء
إذا احسن والمراد بنظرة الازهار تفتيحها

الحديث المستطاب .

(فهم الورد) بشوكته ونجم^(١) من بين الرياحين معجبا بأشراق
صورته وإفراق^(٢) صولته . وقال :

بسم الله المعين وبه نستعين . أنا الورد ملك الرياحين . والوارد
منعشا لارواح ومتاعا لها الى حين . ونديم الخفاء والسلاطين . والمرفوع
أبدا على الاسرة . لأجاس على ترب ولاطين . والظاهر لوني الاحمر
على ازاهر البسانين . والعزيز عند الناس . والمودود بين الجلاس الأئناس
والعادل في المزاج . والصالح في العلاج . أسكن حرارة الصفراء .
وأقوى الباطن من الاعضاء . وأبرد أنواع اللهب السكائنة في الراس .
وربما استخرجها منه بالعطس . وانفع من القلاع والقروح^(٣) . وأنا
بعطريتي ملائم لجوهر الروح . ومن تجرع من ماءي يسيرا نفع من
الغشى والخفقان كثيرا . ودهني شديد النفع للخراجات . وفيه مآرب
كثيرة لذوى الحاجات . وأنا مع ذلك جلد صبار أجرى مع الاقدار .
اذا صليت^(٤) بالنار . فاهذا رفعت من أغصاني الأنسائر . ودقت من
داراتي^(٥) البشائر . فاعلمت الى المشاعر^(٦) وقال في الشاعر .

للورد عندي محل ورتبة لا عمل
كل الرياحين جند وهو الامير الاجل
ان جاء عزوا وتاهوا حتى اذا غاب ذلوا

(١) طلوع وظهر (٢) إفراق : اخافة (٣) القلاع : بثرات تكون في جلدة
الفم واللسان الواحدة قلاعة والقروح : الجروح (٤) وضعت على النار
للتقطير . (٥) داراتي : جمع داره مأخاط بالشيء . (٦) : العلامات أعرف بها .

(فقام النرجس) على ساق . ورمى الورد منه بالاحداق وقال :
 لقد تجاوزت الحد ياورد . وزعمت أنك جمع في فرد . ان اعتقدت
 أن لك بحمرتك فخرة ^(١) . فانها منك فجرة ^(٢) وان قلت انك نافع
 في العلاج فكم لك في منهاج ^(٣) الطب من هاج ^(٤) فاحفظ حرمتك
 والا كسرت بقائم سيفي شوكتك . ويكفيك قول البستي فيك .
 لا يغرنك اني لين المــــــــس لا في اذا انتضيت حسام
 أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لا آخري زكاه
 ولكن أنا القائم لله في الدياجي ^(٥) على ساق . الساهر طول الليل
 في عبادة ربي فلا تطرف أحداق . وأنا مع ذلك المعد للحروب . المردو
 عند تراحم السكروب . الا ترى وسطى لا يزال مشدوداً . وسيفي لا يزال
 مجروداً . وأنا فريد الزمان في المحاسن والاحسان . ولهذا قال . في كسرى
 انوشروان (النرجس يا قوت أصفر . بين در أبيض : على زمرد أخضر .)
 وأنا المقرون في مهمات الادواء بالصلاح . أنفع غاية النفع من داء
 الثعلب ^(٦) والصرع . ومن الدليل على صلاحى . أن أبانواس غفر له
 اننى على بابيات قالها بامتداحى .

تأمل في رياض الأرض وانظر الى آثار ما صنع المليك
 عيون من لجين شاخصات باحداق كما الذهب السبيك
 على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

(١) فخرة : فخرا (٢) فجرة : كذب (٣) اصل المنهاج : الطريق .
 (٤) : هاج : ذام (٥) الدياجى : ظلمات الليل (٦) داء الثعلب : علة معروفة
 يتناثر منها الشعر وسمى داء الثعلب لعروضه للثعلب

ولقد أحسن ابن الرومي حيث قال مبيدنا فضلي على كل حال :

أيها المحتجج للورد د بزور ومحال

ذهب النرجس بالفضة — بل فانصف في المقال

(فقام الياسمين) وقال : آمنت برب العالمين . لقد تجبست (١)

ياجبس واكثرك رجس نجس . وانت قليل الحرمة . واسمك مشمول
بالعجمة . وكيف تطالب الملك وانت بعد قائم مشدود الوسط في
الخدمة رأسك لا يزال منكوساً وانت المهيج للقاء المصدع من
المحرورين للروس . اصفر من غير علة . مكسو أحقر حلة . ويكفيك
بعض واصفيك .

ارى النرجس الغض الزكي مشمرّاً على ساقه في خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف من فوق رأسه عمام فيها لليهود علام
ولكن انا زين الرياض . والموسوم في الوجهه بالبياض . شطر
الحسن كما ورد . وانا الطف من ورد جاورد . واثري اءبق من
نشرک صباحاً ونداً . فانا احق بالملك منك منصوراً ومؤيداً . وانا
النافع من امراض العصب الباردة . والملطف للارطوبات الجامدة .
انفع من اللقوة والشقيقة (٢) والزكم . ومن وجع الرأس الباغى
والسوداوى . ودهني نافع من الفالج ووجع المفاصل . ويحالى الاعضاء .

(١) تجبست : يقال تجبس في مشيئته : تبخر . والجبس الجبان اللئيم

(٢) الشقيقة : وجع يأخذ في نصف الرأس والوجه

ويجلب العرق الفاضل . يقول لى لسان الحال : (ألتست الهزيل مقاما
ياياسمين ويشهد لسان الأثلغ بأنى الدر الغالى اذا قال : ياأمين .

انا الياسمين الذى لطفنت فقلت المنى
فريحي لمن قد نأى وعيني الى من دنا
وقد شرفت حضرتى لصبرى على من جنى
(فقام البان) وابدى غاية الغضب وأبان وقال :

لقد تعديت ياياسمين طورك . وابتعدت فى المداغورك {١} وكونك اضعفت
الكون . وكثرة شمك تصفر اللون . واذا سحق اليابس منك ورض {٢}
وذر على الشعر الاسود ابيض . واذا قسم اسمك قسمين صار ما بين
ياس ومين وان ذكرت نفعت فأنت كما قيل لانسوى جمعك . ولقد
صدق القائل من الاوائل .

لامرحبا بالياسمين وان غدا فى الروض زينا
صحفته {٣} فوجدته متضما ياسا ومينا

ولكن انا ذوالأسمين . والظافر بالأصل والفرع بالمقسين . والقريب
من الباز . والمضروب بقدى المثل فى الاهتزاز . ازهارى عالية . وادهانى
غاليه . وقد البست خامة السنجاب {٤} . واتفق على فضلى الانجاب .
أنفع بالثمن من مزاجه حار . وأرطب دماغه وأسكن صداعه . ودهنى
نافع لكل وجع بارد ، وتحت ذلك صور كثيرة الموارد من الرأس

(١) غورك : عمقك (٢) رض : دق . (٣) التصحيف تغيير الكلمة
بإبدال بعض حركاتها أو حروفها (٤) حيوان يشبه اليربوع أكبر من الفار
تتخذ من جلده الثراء

والضرس : ويكفي في وردى قول ابن الودرى .
 تجادلنا أماء الزهر أذكى أم الخلاف (١) أم ورد القطاف
 وعقبى ذلك الجدل اصطلاحنا وقد وقع الوفاق على الخلاف
 (فقام النسرين) بين القائمين . منتصراً لأخيه الياسمين . وقال :
 أتعدى يابان (٢) على شقيقى . وأين الفرى من الذهب الديقى ، ألم
 يعرفك الحال قول من قال :

لله بستان حللنا دوحه فى جنة قد فتحت أبوابها
 والبان تحسبه سنانيراً رأت بعض السكالب فنفت أذنانها
 ولكن أنا زين البستان . وفى من الذهب والفضة لوان . أنفع
 من اورام الحاق . واللوزتين . ووجع الاسنان . ومن برد العصب
 والدوى والطنين فى الآذان . واسكن التئ والفواق . وأقوى القلب
 والدماع على الاطلاق وبى غاية الارتفاع . والبرى منى إذا طخ به الجبهة
 سكن الصداع . ويكفيك من المعانى قول من عنانى :

ما أحسن النسرين عندى وما أملحه مذكان فى عيني
 زهر إذا ما أنا صحفته وجدته بشرى ويسرين
 (فقام البنفسج) وقد التهب . ولاحت عليه زرقه الغضب وقال :
 أيها النسرين لست عندنا من المعدودين ، ولا فى الصلاح من
 المحمودين . لانك حار يابس انما توافق المبرودين ، ولا تصاح الا للمشايخ

(١) نوع من شجر الصفصاف (٢) البان : شجر سيط القوام لين ورقه
 يشبه ورق الصفصاف الواحدة بانه ويشبه به القد لطوله .

المبالغمين . وانت كثير الاذاعة فلست على حذظ الا سرار بأمين . ويعجبني
ماقال فيك بعض المتقدمين .

ولم أنس قول الورد لا تركنوا إلى معاهدة النسرين فهو يمين^(١)
ألم تنظروا منه بنانا مخضباً وليس لمخضوب البنان يمين^(٢)
ولكن أنا اللطيف الدات . البديع الصفات . المشبه بزرق
اليواقيت . وأعناق الفواخيت^(٣) ومزاجي رطب بارد . ومنافعي
كثيرة الموارد : أولد دماً في غاية الاعتدال . وأنفع الحار من الرمد
والسعال . وأسكن الصداع الصفراوي والدموي لمن شم أو ضمّد . والين
الصدر ، وأنفع من التهاب المعده^(٤) وكفاني شرفاً بين الاخوان . ان
دهني سيد الأدهان بارد في الصيف حار في الشتاء . فهو صالح في كل
الأزمان وذلك لأنه يسكن القلق . وينوم أصحاب الأرق . ومنافعي
لأنه يشفى . وما أودعه خالق في لا يستقصى . من رأى آذن بالانشراح
وتفاءل بالانفساح ألا تسمع قول من باح وصاح

يامهديا لي بنفسجا أرجأ يرتاح صدوي له وينشرح
بشرقي عاجلاً مسحفه بان ضيق الأمور بنفسح
(فقام اللينرف)^(٥) على ساق وحشد الجيوش وساق . وأنشد

بعد اطراق

(١) فعل مضارع بمعنى يكذب (٢) اسم بمعنى الحلف (٣) جمع فاخته

خات الطوق من الحمام (٤) جمع معدة (٥) هو النيلوفر تقدم في المناظرة الثالثة

بنفسج الروض تاه عجباً وقال طيبي للجو ضمخ {١}

فأقبل الزهر في احتفال والبيان من غيظه تنفخ

ثم قال للبنفسج :

بأي شيء تدعى الامارة . وتطاوع نفسك والنفس أماراة ، وأكثر
ما عندك أنك تشبه بالعدار وبالدار في الكبريت {٢} وحاصل هذين
يرجع إلى أشنع صيت ، وما من نفع ذكرته عنك إلا وأنا أفعل مثله
وأكثر ، وأنا أخرى بسلامة العاقبة منك وأجدر : من شرب اليباس
منك ولده قبضاً على القلب ، وربى في معدته وأمعائه وأحدث له
الكرب ، وقد كفانا الورد مؤنة الرد عليك . وحذرنا من القرب منك
والاصفاء اليك . فقال :

أعلى يفتخر البنفسج جاهلاً وإلى يعز كل فضل يبهز

وأنا المحبب للقلوب زمانه وبمقدمي أهل المسرة تفخر

وقال الخاكي عن الورد الباكي

عائنت ورد الروض يلطم خده ويقول وهو على البنفسج محنق

لا تقربوه وإن تضوع ثمره ما بينكم فهو العدو الأزرق

ولكن أنا اللطيف الغواص . المكثير الخواص . أسكن الصداق

الحار ، وأذهب بالارق والأسهار ، وما أحسن ما قال في بعض واصفى

{ ١ } لطح { ٢ } يشير إلى قول القائل في وصف البنفسج .

كأنه وضعاف القضب تحمله * أوائل النار في اطراف كبريت

يرتاح . للينوفر القاب الذي لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد أصبح في الروائح عبده والرجس المسكى خادم عبده
يا حبه في بركة قد أصبحت محشوة مسكا تشاب بنده (١)
ومنى صنف يقال له البشنيين (٢) يشابهني في التكوين ، لا في التلوين .
ويحدث عند اطباق النيل ، وله في منافع الطب تنويل ، دهنه محمود في
البرسام (٣) إذا تسعط به ذوالاسقام ، وقد أنشد فيه من أراد أن يوصله
حقه ويوفيه

وبركة بغدير الماء قد طفحت بها عيون من البشنيين قد فتحت
كانها وهي تزهو في جوانبها مثل السماء وفيها أنجم سبحت
(فقام الآس) وقد استعد وقال :

لقد تجاوزت بالينوفر الحد ، الست المضعف للمرء في قواه الجالب
له صفة الشيخوخة في صباه ، ولقد عرفك من قال حين وصفك
والينوفر أبدى لنا باطن له مع الظاهر المخضر حمرة عديم (٤)
فشبهته لما قصدت هجاءه بكاسات حجام بها لوثة الدم
أنا المقوى للأبدان . الحابس للأسهال والعرق وكل سيلان والمنشف
من الرطوبات المانع من الصنمان المسكن للأورام والحمرة (٥) والشرى

(١) تخلط بالعنبر . (٢) البشنيين : نبات يسميه المصريون عرائس النيل لانه
ينبت عند زيادة النيل يظهر صباحا ويغيب مساء (٣) البرسام : التهاب يعرض
للحجاب الذي بين الكبد والقلب فارسي معرب معناه التهاب الصدر (٤) عديم :
خشب شجر عظام وورقه كورق اللوز ساقه احمر يصبغ بطبخه ويلحم الجراحات
ويقطع الدم ويجفف القروح (٥) : الحمرة : ورم من جنس الطواعين

والصداع والخفقان . وأنا الباقي في طول الزمان . وقال في بعض الاعيان
الآس سيد أنواع الرياحين في كل وقت وحين في البساتين
يبقى على الدهر لا تبلى نضارته لا في المصيف ولا في برد كانون
وقال آخر

للآس فضل بقاءه ووفائه ودوام منظره على الأوقات
قامت على أغصانه ورقاته كنصول^(١) نبل جئن مؤثافات
(فقام الريحان) وقال يا آس لا جرحنك جرحا ماله من آس^(٢)
إذا قلت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام
وأنا الوارد في عليكم بالمرزنجوش^(٣) فشموه فانه جيد للخشام^(٤)
وأنا أنفع من اسعة المقرب لمن باخل ضمه ودعني يدخل في الضمات
للفالج الذي يعرض فيه ميل الرقية الى خالف . وفي تشنج الاعصاب
ومع هذا فأنا المنوء بأسمى في القرآن حيث يقال : فروح وريحان .
وحسبك مني في التشبيه قول من قال على البديه :

أما ترى الريحان أهدى لما حماحاً^(٥) منه فاحيانا
كأنه في ظله والندى زمرد يحمل مرجانا

فمطف عاياه الآس وقال :

يا ريحان . أتريد ان اسود وانت اشبه بهامات العبيد السود . ألم يغنك

(١) جمع فصل وهي حديدة توضع في رأس السهم (٢) طيب (٣) المرزنجوش :

معرب مرزنجوش الفارسيه وعربته سمسق او الياسمين (٤) الخشام : داء يعترى .

الانف . (٥) حماحاً : نبات طيب الرائحة يعرف بالحبق الليموني .

عن مقصورى قول الشهاب المنصورى

وريحان تيمس به غصون يطيب بشمه ثم الكؤوس
كسودان لبسن ثياب خز وقد قاموا مكشيف الرؤس

قال الراوى : فلما ابدى كل مالىديه . وقال ماورد عليه . اتفق رأى
الناظرين . وأهل الحل والعقد من الحاضرين . على ان يجعلوا بينهم
حكماً عادلاً يكون لقطع النزاع بينهم فاصلاً . فقصداً رجلاً عالماً
بالاصول والفروع . حافظاً للآثار الموقوف منها والمرفوع . عارفاً
بالانساب . مميّزاً بين الاسماء والالقباب والاتباع والاصحاب . مديد
الباع . بسيط اليدى فى معرفة الخلاف والاجماع . خبيراً بمباحث
الجدل . واستخراج مسالك العالى متبحراً فى علوم اللغة والاعراب .
مطالعاً بعلوم البلاغة والخطاب . محيطاً بفنون البديع . حافظاً للشواهد
الشعرية التى هى ابهى من زهر الربيع . شديد الرمية . شديد الاصابة
الشعر والنظام صوغ بيان . والنثر والانشاء طوع بنانه . والتاريخ
الذى هو فضيلة غيره . فضلة ديوانه . فلما مثلوا بين يديه . ووقعت اعينهم
عليه قالوا :

يا فريد الارض . يا عالم البسيطة ما بين طولها والعرض . انا اخصام بغى
بعضنا على بعض . فانظر فى حالنا . لنكون لك ذخيرة يوم العرض
واحكم بيننا بالحق . واقض لآئنا بالملك احق . فقال :

ايتها الازهار . انى لست كلذى تحاكم اليه العنب والرطب . ولا الذى
تقاضى اليه المشمش والتوت . ولا التين والعنب انى لا قبل الرشا .

ولا اطوى على الغل الحشا : ولا اميل مع صاحب رشوة . ولا استحل
من مال المسلمين حسوة . انما احكم بما ثبت في السنة . ولا اسلك الا طريقاً
موصولاً للجنة . فقصوا على الخبر . لا عرف من فجر منكم وبر . فلما قص
عليه كل قوله . وابدى هيئته وسوءه . سب :

ليس احد منكم مستحقاً لملك . ولا صالحاً للاثمخراط في هذا السلك
ولكن الملك الاكبر . والسيد الابر . وصاحب المنبر . ذو النشر الاعطر
والقدر الاخطر . السيد الايد الصالح الجيدهو الفاغية (١) وقد جاء في
الحديث : ان سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية . اشتمل على
ما في الرياحين من الحسن . وحكم له بالسيادة . وشهد له بها وناهيك
بالشهادة

قال : فاما سمعت الرياحين الاحاديث في فضل الفاغية . اطرقوا
رؤسهم خاشعين . وظللت اعناقهم لها خاضعين . ودخلوا تحت امره
سامعين طائعين . ومدوا ايديهم لها مبايعين بالامرة ومتابعين . وقالوا
لقد كنا قبل في غفلة عن هذا انا كما ظالمين . وانا اذا لمن الاثمين وقضى
بينهم بالحق . وقيل الحمد لله رب العالمين .

(١) الفاغية : زهر الحناء .